ALiBaghdadi
2020

بين طيات الزمن

اسم الكتاب : بين طيات الزمن

الجنس :قصة

المؤلف :شيماء نجم عبد الله

القياس : ١٤×٢١ سم

عدد الصفحات : (٥٢)

عدد النسخ : (١٠٠) نسخة

الطبعة الأولى : لسنة ٢٠٢٠

التصميم : رياض جواد كشكول

لوحة الغلاف : الفنان علي البغدادي

الناشِر :دار المثقف للطباعة والنشر /بغداد /باب المعظم /شارع المكتبات /هاتف ٠٠٩٦٤٧٧٣٩١٧٤٧٣٦

رقم التسجيل الدولي (ردمك) (ISBN 978-9922-9359-2-8)

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقل بأيّ وسيلة من الوسائل التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية ، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من دار النشر.

All rights reserved. No part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any means: electronic, mechanical, photo copying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing of the publishing house .

شيماء نجم عبدالله

قصة

بين طيات الزمن

لوحة الغلاف للرسام

علي البغدادي

مراجعة لغوية

د . عبدالله الغانم

الإهداء

إلى قرائي الأعزاء

وإلى كل القلوب التي تحطمت

بسبب هذه الحروب

شعرتْ بالدوار، وبدأ وميض الضوء يختفي من أمام عينيها، غلبها النعاس لتغفوا في وسط دفاترها المبعثرة على طاولة المكتب، سقط احدهما على غلافه السميك، تقلبت الأوراق حتى توقفت عند الوسط، اهتزت الصفحات المفتوحة حتى برزت منها قدمين صغيرتين ومن ثم يدين وبعدها ظهر الرأس المستدير، رمقها بنظرة خاطفة، نادى باقي رفاقه:

- هيا أخرجوا لقد غفوت، بإمكاننا أن نتحرك قليلاً.

خرجوا يتقافزون من الدفتر، كدمى صغيرة يمسكون بأيدي بعضهم، يرقصون رقصة الجوبي، يطبلون ويزمرون، استمروا على هذه الحالة، حتى رمى أحد المطبلين عصا الطبلة على رأس الفتاة النائمة دون أن يقصد ذلك، وإذا بالفتاة تستدير، ركض الجميع نحو الدفتر، وجدوه مغلقاً، تماسكوا مع بعض لأجل رفع الغلاف الثقيل بالنسبة لحجمهم الصغير، لكنهم لم يتمكنوا، صرخ كبيرهم:

- ابتعدوا.

جلب معه قلم خشبي، قد سحبه من على الأرض بعد إن سقط مع الدفتر. تعاونت معه باقي شخصيات القصة في وضع القلم بين الأوراق ورفع جزء من الغلاف إلى الأعلى، وبذلك تمكنوا من العودة إلى الدفتر.

عندما استيقظت الفتاة، استغربت وجود الدفتر على الأرض:

- ما الذي أسقطه، آه يجب أن لا يلمسه أحد.

حملتهُ ووضعتهُ في مكتبتها الخشبية، ذات الأبواب الزجاجية، أغلقت الباب بالمفتاح الذي تدلى منه حلقات فضية صغيرة.

خرجت من حجرتها، دون أن ترتب باقي دفاترها المتبعثرة، فضلت أن تتركها على حالها. وفي هذه الأثناء برزت قدمين صغيرتين من خلف سيقان طاولة المكتب، اختبئ خلفها مستغلا عدم انتباهها، حيث تمكن باقي رفاقه من العودة إلى الدفتر دونهُ. بعد إن تأكد من خروجها، توجه صوب المكتبة، متسلقاً الإدراج لكنه لم يتمكن من الوصول إلى مفتاح الباب بسبب ارتفاعه.

عاد أدراجه باحثاً عن شيء يمكنه من الوصول إلى المفتاح، التفت يميناً ثم يساراً لعله يجد حل، وقعت عيناه على الستائر حيث كان يتدلى منها حبل طويل؛ هرول نحو الشباك متسلقا الستائر، سحب الحبل إلى أن أغلقت ستائر الشباك.

تزحلق على قماش الستارة حتى وصل إلى الأرض، حاملاً الحبل معه، عاد بخطوات سريعة يتسلق الأدراج وقف على طرف احدها، امسك بالحبل ولفهُ على يده اليسرى، ليرمي به كما يرميه على الحصان حين يطارده، لم يفلح في محاولته الأولى والثانية تمكن في الثالثة من لف الحبل حول المفتاح وشده بقوة حتى لا يسقط.

أمسك بيديه الصغيرتين الحبل وبدأ بالصعود، إلى أن وصل إلى المفتاح مستقرا فوقه، دار بالمفتاح ثلاث مرات محاولا فتحه، وإذا بالباب تراجعت إلى الوراء مبتعدا عن الرفوف، رفع الحبل إليه وعاد يرمي به على مقبض الباب الآخر، سحب الحبل نحوه، اقترب من الرفوف قافزا نحو الدفتر.

عادت الفتاة إلى حجرتها لترتب كتبها، عندها رن الهاتف، فزعت من صوته، رفعت السماعة وإذا بصوته يبادرها قائلا:

- كيف حالكِ؟
- بخير، وأنت؟
- بخير إن كنت أكملت كتابة القصة.
- نعم، أنها بانتظار أن ترسم شخصياتها.
- بالتأكيد سأرسمها وعندها سنرى من سيكون الافضل الرسام ام الكاتبة في تجسيد الشخصيات.

قهقهت بصوت خافت:

- أنا بانتظارك اذا.

وفي صباح اليوم التالي، دخلت حجرتها لتستعد للقاء الرسام، فوجدت باب المكتبة الزجاجية مفتوح وحبل يتدلى من مفتاح الباب، الستائر مغلقة دون

الحبل المعلق بها، استغربت الأمر! إقتربت من المكتبة وجدت الدفتر على حاله، لكن! من فتح الباب؟

لم تعطي اهتمام كبير لما رأت، عادت لترتيب حجرتها، وضعت شراشف من الدانتيل على الطاولة ومزهرية مطرزة برسوم أوربية، دارت بعينها حول الحجرة رأت إن كل شيء في مكانه.

رن جرس الباب معلناً وصول الرسام حاملاً معه لوح كبير و أوراق كثيرة، دخل الحجرة واضعا اللوح أمام النافذة، أخرجت الدفتر من المكتبة، وأعطته إياه بدأ بتصفحه ورقة ورقة، تركته ليقرأ دون أن تزعجه، وعند عودتها شعرت بحركة غريبة:

- تفضل فنجان قهوتك.

رمقها بنظرة متسائلة:

- اظن إنك ترغب بسؤالي؟
- قصتك.
- ما بها؟
- لا أعرف كيف سأجسدها على الورق؟ فشخصياتك متحركة.
- كيف ذلك؟.
- أغلب الشخصيات هربت من الدفتر.

- أنت تهذي، لا يمكن ذلك، كيف هربت؟
- انظري، الدفتر خالي من الخطوط والأحرف.
- ما بك، لما لا تقول إنك لن تستطيع تجسيد الشخصيات.
- بل أستطيع ولكن لا يوجد ما أقرأه.
- وما هذا المكتوب، أرجوك لا تمزح معي.
- اجلسي واقرئي لي لأني لا أجد شيء لكي أقرأه.

جلست قبالته مستغربة كلامه وبدأت بالقراءة، في حين هو بدأ بالاستماع وتحضير أدوات الرسم.

الفصل الاول

زفاف

تتعالى أصوات الهلاهل والتصفيق، فتيات حسان يرقصن فرحا بيوم عرس قريبتهن التي لم تتجاوز ربيعها الخامس عشر، البرقع يغطي ملامحها الرقيقة والحناء تغطي باطن يدها السمراء، ودموع تتساقط كالمطر من تحت البرقع الأبيض، امسكن بيدها متناوبات بالرقص معها وهي لا تعلم إن تفرح معهن أم تحزن، كان يوم زفافها من الأيام التي ستحدد مصيرها، أصوات الطبول والبوق اقترب من تجمعهن معلنا اقتراب العريس منهن، كان يرتدي بدلته السوداء مع ربطة عنقه الحمراء كان يكبرها بقدر سنين ربيعها، جلس بجانبها يرفع برقعها ويقبلها من جبينها، شعر برعشة يديها أحكم قبضة يديه عليها، خطفها من بين الجموع الراقصة، وذهبت معه تلاقي مصيرها غير المعروف.

دخلوا مهجعهما دون أن ينبسوا بكلمة، الخوف يملئ قلبها والنشوة تملأ قلبه، لف يديه حول خصرها الصغير، نفرت منه مبتعدة، شد بيدها نحوه، صرخت:

- ابتعد عني!.
- أنت ألان ملكي.
- اعلم أني ملكك، ومتى كنت ملك نفسي؟
- إذا تعلمين ما واجبك نحوي.

رفعت برقعها عنها، قائلة:

- مازلتُ صغيرة فالتصبر علي قليلا، أني حتى لا اعلم من تكون، فقد جبرتني أمي بالزواج منك، غيرة من جارتنا التي زوجت بناتها الأربع، لتثير جنون أمي التي لم تراعِ مشاعري.
- أنا لن احل مشاكل غيرة والدتك، أنا تزوجتك لتطيعيني وإلا ستكونين في موقف مخزي أمام الكل.

مالت برأسها تلف برقعها حول وجهها الحزين، تذرف الدموع وتنادي:

– أين أنتِ يا أمي؟.

كانت تعد الساعات عله يعدل عن رأيه، ويغفر خوفها منه، وعندها وجدته يفترش الأرض بسجادة صغيرة يخبرها أن تقف بجانبه ليصلوا بعد إن شعر بالندم جراء تصرفه الذي جاء دون تفكير منه، شعرت بالسَكينة نحوه، قامت لتقف إلى جانبه، تفعل كما يفعل.

نبرة صوته وهو يقرأ سورة ياسين بعد أن انتهى من الفرض؛ أشعرتها بالطمأنينة، قراءته للقرآن بهذا الصوت الحنين لن يكون بالمتزمت وسيفهمها حتى لو عاملها في أول الأمر بقسوة، استلقت وهي ما تزال تنصت لقراءته، أغمضت عينيها ولم تحرك شيء من حواسها سوى سمعها وخشوعها الذاتي، حتى غفت ومرت الليلة عليها في سكينه وهدوء.

وفي اليوم التالي جاء الأهل يطرقون باب عش الزوجية ليباركوا صباحهم الجديد، استيقظت نورا على صوت الطرقات خنقتها العبرة، انطلقت من فراشها البارد لتفتح الباب، ارتمت في أحضان أمها، لكن لم تجد ذلك الحضن الدافئ، فقد لاقت وجه مؤنب وغاضب:

- ما بالكُ تفعلين؟ أتريدين أن نكون حديث المحلة!.
- لا يا أمي فقط افهميني.
- لا افهم شيئاً غير انك أصبحت زوجة.

لم تجد من يسمعها، جلست في وسط صخب الأهل والأقارب المباركين تفكر كيف ستكمل حياتها مع أناس لا يسمعون غير لغة جسدهم، مبتعدين تماما عن لغة العقل وما يمليه علينا من رغبات، قررت أن تتعامل معهم كما هم يفكرون، إن كان الجسد هو من يسكت الجموع فليكن لهم.

اقتربت ساعات الليل، وبدأت أفكارها تتصارع اتجهت نحو دولابها، تفتح أبوابه أخذت منه الثوب الأحمر الذي أهدته لها إحدى قريباتها والذي كانت تعشق لونه، قد يكون مناسبا جدا لتلبي به طلبات الزوج، ارتدتهُ ووضعت زينتها من الذهب الذي اشتراهُ بها حين خطبتها، حررت شعرها البني حتى تدلى إلى أسفل قدمها المتخلخل بطوق ذهبي يخشخش عند مسيرها، استمرت تسرح شعرها الحرير حتى لاحظت أنّ الباب فُتح، تفاجأ سلمان عند رؤيتها ارتسمت على وجهه ابتسامة ملؤها الاستغراب، لم يعرها انتباه كثير:

- أراك تتزينين! البارحة لا ترغبين بي واليوم أراكِ في قمة رغبتك!.
- قررت أن انصاع لكم، انتم ترغبون بالجسد وهذا هو في كامل زينته.
- أتحاولين أن تبرري فشلك؟.
- لست بفاشلة أنا فقط ما زلت صغيرة وانتم ولا تفهمون.
- أي صغيرة، قالها وهو يقهقه بخبث.
- حسناً، سأتركِكِ تكبرين، أنا الآن متعب ولا أريد أن اسمع أي صوت.

❁

رمقتهُ بنظرة استهجان:

- ليتك تقضي العمر كله نائماً.

واستلقت بجانبه تاركة شعرها منثور فوق مخدته المليئة بالصوف الأبيض، مستفزة كيانه ليثور ويرمي به على وجهها:

- قلت لكِ لا تزعجيني.

- ومن أزعجك، إنّي فقط ارغب بالنوم.

قضت ليلتها وهي تخاطب ظلمتها الحالكة، لعل الصباح يأتيها بخبر أو مخرج.

الرسام

وضع يده فوق رأسه متحيراً:

- أيعقل ذلك؟.

وضع اللوح على الأرض وهو يشاهد نورا وسلمان تحت الاريكة يتحدثان، حاول اخبارها لكن دون جدوى فهي لن تصدق كلامه قرر ان يسكب اللون الأحمر على اللوحة، جالبا سكين صغيرة يخدش بها اللون، تاركا بعض البقع البيضاء تحت اللون الأحمر، اقتربت الكاتبة تشاهد ما يفعل، استغربت دمجه للألوان بهذه الطريقة، قررت أن لا تتدخل فقط اكتفت بالجلوس والتفرج، استمر بالخربشة حتى حل المساء، قاطعتهُ بكأس عصير:

- ألم تشعر بالتعب؟ فلتترك الباقي للغد، أنا تعبت من القراءة.
- أني اشعر أن النهاية قريبة مني.
- أنت مخطئ، اسمع مني لا ترسم قبل أن أكمل باقي الاحداث.

قهقه بطريقة غريبة، حمل أغراضه عدا اللوحة تركها كما هي طالبا منها عدم العبث بها، ودعتهُ على رهان منها إن ما يفكر فيه ليس هو نهاية القصة.

خلت الحجرة من الكاتبة والرسام لتبقى اللوحة على الأرض، استغلت الفرص لتطبع بقدميها الصغيرتين على لونها الأحمر، نورا الصبية ذات الخمس عشر ربيعا ترقص فوقها حين خلد الجميع إلى النوم.

وفي اليوم التالي عكست الشمس ضيائها على لوحة الرسام لتبرز البقع الصغيرة التي تركتها قدما نورا، اقترب الرسام من اللوحة منادياً:

- ألم اطلب منك أن لا تعبثي باللوحة!
- ما بك تصرخ؟
- اللوحة عليها أثار أقدام صغيرة.
- لكن لا يوجد غيري في البيت! ولم اقترب من الحجرة، تركتها كما هي!
- معقول أن تكون هي من عبثت باللوحة!

استلقى على الأرض يلقي نظرةً تحت الاريكة، لم يجدها فستقام واقفا يرمي بنظره هنا وهناك، ايضا لم يجدها فقرر العودة إلى اللوحة متربعا على الارض واذا به يراها وهي تغفوا في وسط المزهرية. تجمدت عيناه:

- أراك ترمق المزهرية بنظرات الاعجاب؟
- آه فعلا انها جميلة.
- هل يا ترى هي السبب؟
- لا لا، لا تهتمي هيا اكملي القراءة.

الفصل الثاني

نورا

في الصباح استيقظت نورا على هديل الحمام الذي كان يقف بالقرب من نافذتها، يأكل ما ترميه لهم من فُتاة الخبز، استدارت لم تجدهُ بجانبها شعرت بالقلق لبقائها لوحدها، تصارعت الأفكار في عقلها هل تركها وغادر أم توجه نحو بيت أهلها ليخبرهم بما حصل؟ وفي دوامة الأفكار المتصارعة سمعت صوت الباب يُفتح برفق، أسرعت متوجه نحوه وجدت أن سلمان قد عاد إلى البيت حاملا معه قطعا من الكاهي والقيمر الذي أعدته والدته لهم، اقتربت منه محاولة حمل الصينية عنه، بادلها بابتسامة:

- اتركيها، قد تسقطيها من يديكِ الصغيرتين.
- لا تحاول الاستهزاء بي، فإنّي اعرف كيف احملها، واعرف حتى كيف اصنع ما جلبت.
- إذا غدا تطعميني من صنع يدك أليس كذلك؟ قالها وهو يقهقه بصوت عالي.

وضعت يديها على خصرها، مقطبةً حاجبيها:

- نعم سأطعمك غدا من صنع يدي وسترى أني لا اكذب.

جلست باستحياء أمامه، تغطي ساقيها الممتلئة كجذع شجرة بثوبها الرقيق الذي كلما تحركت رق ثوبها قبل قلبه لها، تصب الشاي وتسخن الخبز وهو يسترق النظر بين اللحظة والأخرى، طُرق الباب فجأة:

- سأذهب الآن لا تنتظريني وسأعود ليلا أتمنى أن أجد وقتها العشاء جاهز ولا اعتمد بذلك على والدتي.

رمقتهُ بنظرة متحدية، مرتشفة شايها بحرقة.

وبعد لحظات من خروجه دُق الباب بأطراف أصابع إحداهن، عزفن لحن الشوق بطرقاتهن، فتحت وكلها فرحة للقياهن، وجدت بنات عمها يلففنَ عباءتهُن فوق رؤوسهن مزيحات بعضاً منها عن أكتافهن، يحملن تحتها سلال من الزيتون والفواكه، يقبلنها و يحتضنها شوقا، جلسن يستذكرن صباهن وشقاوتهن حين يلتقين في المزرعة ليقطفن بعض من الفواكه:

- كم كنا نقطف معا الفواكه، الأن تركتنا وقطفتي لوحدك عريساً، قالتها مها وهي تربط شالها على كفها.
- متوهمة أنا لم اقطفه، أمي من قطفته وأجبرتني أن أضعه في سلالي، لو كان الأمر بيدي كنت قضيت شبابي معكم في المزرعة ولن أغادرها إلا على جثتي.
- ولكن أمك أحسنت الاختيار، سلمان من خيرة شباب القرية.
- ولكني مازلت صغيرة، لا اعلم أن كنت سأسعده أم لا.
- لا تقلقي الحياة ستعلمك كيف يمر اليوم ولا تشعرين بمرارته؛ فحياتنا في القرية ليست ملكنا، بل ملك التقاليد، والجيرة.
- اليوم أنا في تحدي معه يجب أن اعد العشاء له وإلا سأكون فاشلة أمامه.
- حسنا سنتركك مع تحديك، تعلمي أن تكوني امرأة واتركي طفولتك جانباً.

أغلقن الباب ومازالت أصواتهن تملأ الدار، توقفت للحظة وسط دارها ودارت حول ذاتها متمعنة في تفاصيل حياتها، كانت كالحلم مرت خلال غفوة ليل لم ترغب أن تصحوا منها، وإذا بنجمة سقطت ليلحقها شهاب يحرق حلمها لتستفيق من غفوتها، في واقع رماها في أحضان رجل وأشواك عشيرة لن ترضى لها إلا أن تكون زوجة صغيرة.

﴾

الرسام

استمر بالرسم حتى صدم عندما وجد أن اللون الأسود قد سكب على البقع البيضاء، واختلطت الألوان ولم تعد اللوحة كما رسمها في خياله، قرر أن يبقيها كما هي، امسك بالسكين وبدأ برسم خطوط فوق الألوان المختلطة لتظهر جسد فتاة تائهة في وسط العتمة، بين بقع حمراء وسوداء وبيضاء، يبعدها الزمن عن دفئ بيتها ويسلبها طفولتها. سكتت الكاتبة عن القراءة:

- أأجلب لكَ لوحة أخرى؟

قهقه كالمجنون:

- ليس فقط أثر الأقدام من لوث اللوحة، أنا أيضا قد سكبت اللون الأسود دون أن انتبه، سأتركها على ماهي عليه، فقد ساعدني ذلك الخليط والآثار في إظهار اللوحة بطريقة أخرى أكثر تعبيراً، على العموم اجلبي هذه اللوحة قد احتاجها عندما أخطئ مرة أخرى.
- حسناً، كما تحب.
- قبل أن تكملي القراءة أريد فنجان قهوة ساخن.

رفع علبة الأصباغ ليجد نورا تعبث فيها فهي من سكبت اللون الأسود، عندما كانت تحاول الهرب تعثرت به وأسقطته على اللوحة، امسك بها من خصرها الصغير ليرفعها من وسط الألوان ويخبئها تحت الطاولة.

- قهوتك جاهزة، تفضلها.

- شكرا لك. أكملي لي وأنا سأستمع بينما ارتشف قهوتي.

الفصل الثالث

نورا

توسطت الحقل، تهش على الطيور وتقطف ما تجده قد أثمر لتجعله وجبة غنية لزوجها الذي تحداها في قدرتها على صنع الطعام، فجأة سمعت أصوات ضحكات، تلفتت يمينا ويسارا لكنها لم ترى أي احد، عادت لتكمل عملها وحين قطفت ثمار العنب طرقت مسامعها ذات الأصوات، توقفت عن الحركة كي تركز في ما تسمعه، ازداد قرب الأصوات، فانخفضت تحت الثمار، حينها سمعت صوت مها:

- نعم إنها مها، ماذا تفعل هنا؟

اقتربت أكثر، حينها رأتها وهي تجلس بالقرب من مجبل، وهم يقطفون العنب بأفواههم.

- يا ألهي يا لكِ من مجنونة، ماذا لو رآك احد؟

حملت الثمار وسارت مهرولة صوب بيتها، ترتجف خوفا مما قد يحدث لو رآها احد من أقاربهم، سقط بعض منها في الطريق، وحين وصلت وجدت الكيس شبه فارغ:

- اللعنة عليكِ يا مها، سأضطر للعودة لأجمع ما سقط مني.

وعادت بخطى مرتجفة تلم الثمار وهي تتلفت حولها خوفا من مشاهدتهم مرة أخرى، لتتنبه لوجود شخص كان يحفر الأرض ويدفن شيئاً تحت التراب،

استغربت وجوده، وحين شعر بها رفع الفأس ورماها باتجاهها، لتفزع وتهرب، ولم يلحق بها سوى صوته المبحوح الذي استمر يصرخ بجنون.

الرسام

ارتشف فنجان القهوة، وعيناه تنتقلان بين اللوحة ونورا التي كانت تنظف ثوبها، حتى مضى الوقت دون أن يلوث الريشة بالأصباغ، جلست قبالته وهي ترمقه بنظرات التعجب منتظرة أن يتحدث لكن صوت الصفحات وهي تتقلب من كان يصل إلى مسامعها، فجأة صرخ:

- انتبهي.
- هل حصل شيء؟

هز رأسه ببطيء:

- لا شيء كنت افكر.
- إذنْ نكمل القراءة.
- رغبتُ بسؤالكِ عن مها، اراها تختلف عن نورا رغم القرابة التي بينهم؟
- نعم جعلتها تختلف عنها فهي فتاة جريئة ومشاكسة بعض الشيء.
- لكني لا اجدها كما اجد نورا.
- ماذا تقصد؟
- اقصد، اه اه لا شيء. لابد ساراها كما رأيت نورا اكيد انها تختبئ في مكان ما، قالها وهو يفكر بصوت منخفض.

الفصل الثالث

أصوات طلقات نارية

استلقت على الأرض بضع دقائق وهي تضع يدها على قلبها لعلها تلاحق دقاته المرتجفة، تلعن اليوم الذي رأت فيه مها، زحفت على ركبتيها لتقوم بعدها محاولة إشغال نفسها في إعداد الطعام وتزيين المائدة، مضى الوقت، تنبهت لصوت دقات الساعة إنها التاسعة ليلا ولم يعد سلمان للبيت:

- ترى أين ذهب؟

انتظرتهُ طويلا لكنه لم يعد، غلبها النعاس لتغفوا على بساطها الأحمر الذي صنعته بيدها من الصوف، وفي حين غفلة صدحت أطلاقات ناريه ملأت سماء القرية، ضُرب الباب بقوة فزعت من غفوتها:

- سلمان ماذا يحدث في الخارج؟
- عليكِ العودة الى بيت اهلك، لن استطيع حمايتك هنا، هيا قومي ليس لدينا وقت.
- أنت ترعبني، كيف سأخرج والسماء تشتعل بالنار قد يصيبنا مكروه.
- سيصيبنا إن بقينا هنا.

وضعت عباءتها السوداء فوق رأسها واخذ بيدها سلمان ليهربان من باب الدار الخلفية، الطلقات النارية تلاحقهما، بقيا ممسكان بيد بعضهما يسابقان أصوات رجال غرباء عن العشيرة، اللذين لاحقوهم بين المزارع، تعثرت نورا بعباءتها حتى سقطت على الأرض باكية تتوسل توقفهم عن اللحاق بهم، لكن لا جدوى،

حملها سلمان على كتفه واستمر بالهروب من اللصوص إلى إن أقترب من بيت أهلها طلبا للنجدة منهم، وقف معه جميع الرجال حتى جاء بقية شباب العشيرة ليواجهوا الطلاقات النارية ونشبت معركة ضارية بينهم حتى استطاعوا التخلص منهم وقتلهم .

عاد سلمان ليرى ما حل بنورا وجدها تنزف من ذراعها، تألم لأجلها حيث أنها أصيبت عندما سقطت بإطلاقة نارية لكنها لم تخبره خوفا من اشتباكه معهم لوحده، جلس بجانبها متحيرا كيف سيتمكن من معالجتها وهي تمتلك جسدا رقيق ليس كباقي الأجساد الذي تعود على علاجها، طلب منها الصبر عليه، وتحمل قساوته؛ فلا يوجد في هذا الليل من يسعفها، قام بتضميدها لحين حلول الصباح عله يخفف من ألمها.

كانت ترمقه كل لحظة بنظرة خاطفة وتعود لتغمض عينيها:

- هل ستكون احن علي من أمي، هل ستصبر علي رغم عنادي وخوفي؟ لا أنكر انك شاب جميل ولكن هل قلبك كجمال وجهك، أنا ألان كطائر مجروح ويدل أن تأكله أنت تقوم بعلاجه، ليتني استطيع رد جميلك هذا، خائفة أن افشل مرة أخرى معك، أنت تعطيني حناناً لم احصل عليه حتى مِمنْ كنت اسكن أحشائها.
- اعلم انك تسمعيني اخبريني هل يؤلمك شيء؟

رفعت جفنها متساقطة منه بعض قطرات الدمع المتفرقة:

- يؤلمني ذراعي، وقلبي بشدة، قالتها وهي تخفي مشاعرها عنه.

- لم يبق شيء لبزوغ الشمس، وعندها سأنقلك إلى المشفى بأسرع وقت ممكن، فقط اصبري وتماسكي معي.

الرسام

- ما رأيك لو أخذنا استراحة قليلة.
- كما تحب فلنخرج إلى الحديقة.
- لا اخرجي أنت أنا ارغب فقط بلحظات من الهدوء.

بعد إن تأكد من ابتعادها اخرج نورا من مخبأها وأجلسها على الفرشاة محاولا محادثتها:

- ما رأيك باللوحة إني أرسمك فيها.

تناولت فُرشاتاً صغيرة كانت في وسط العلبة وحاولت ان ترسم شرنقة بيضاء فوق الألوان التي تلطخت بها اللوحة، مزيحة بعض من السواد مضيفة خيوط رفيعة تغزلها فتاة صغيرة، وهي تغوص وسط أحراش كثيرة قد توغلت في الأرض، وأعاصير قد رسمها كدوائر تلتف حول الفتاة، حتى أمسك بالفرشاة ليكمل هو ما رسمت مخططا ليد تمكنت من إخراجها من دوامتها.

دخلت الكاتبة وهي تحاول التلصص على ما يفعله واذا بها تقول:

- الفرشاة الصغيرة تتحرك!

تجمد الرسام في مكانه، وبادر يقول:

- لا انت متوهمة انه انا من حركتها، تعالي واكملي لي القصة، فما زلت احاول اكمال الشخصية في مخيلتي.

- اذا فلنكمل.

الفصل الرابع

سلمان

وعند بزوغ أشعة الشمس:

- كيف حالك ألان؟ كنت ترتجفين طوال ساعات الليل.
- أنا بخير، لكن يدي تؤلمني.
- لا تقلقي ستشفين، لم يكن جرحاً عميقاً، اللعنة عليهم قد أضاعوا علي أن أتذوق طبخك.
- لن يفوتك شيء سأعد غيره، وسأبقى عند كلامي، قالتها وهي تبتسم برقة.

مسح على رأسها، قائلاً:

- لا عليكِ يا صغيرة، فلن يهرب الطعام، فقط تمني أن نبقى معا في خضم هذه الأحداث.

ناداه ابن عمه فرحان، بأن يعجلوا بخروجهم من المشفى حتى يتسنى لهم معرفة اللصوص الذين هجموا عليهم، كانت القرية تغلي بالأحداث الغريبة التي تحدث بين الحين والآخر، لصوص ينتشرون ليلا وقطاع طرق يسرقون كل من مر إلى قريتهم في سنجار، لم يكن في السابق اثر لهم، كانت قرية هادئة مسالمة تعيش على ما يحصدونه من مزروعات وما تدره عليهم المواشي من ألبان ولحوم قد تزيد منها للبيع لمدن قد تبعد عنهم بعض أميال، لكن أصبحت

رحلاتهم للمدن تنبئ بالخطر، فكل ما خرجت سيارة محملة بالمؤن قد تتعرض في طريقها للسلب والقتل.

***

بعد مرور بضعة أيام مرت وهي تحمل السلال المليئة بالفواكه من جانب منزله، تغني بصوتها العذب ويرد عليها:

- هلا بهلي هلا بروحي.
- مجبل! عيب ما هذا الكلام، سيسمعونك.
- ليسمعني الجميع، من يصدق انكِ مررتي من بابنا.
- خذ هذه التفاحة، لونها احمر واصفر وطعمها مثل العسل خبأتها خصيصاً لك.
- أنت قلبي وعليه تربعتي.

أطلت نورا بخطاها بين الأشجار تداعب أذنها كلمات مجبل ومها، متحيرة من وضعهما إلى متى سيظلون بهذه الحالة والى أين سيأخذهم الزمن، اقتربت أكثر حتى تحشرجت الأصوات واختفت الفاكهة وتفارقت الأيدي:

- مها! منذ متى وأنت هنا؟
- نورا، أتيت لأساعدكِ في الزراعة، فكرت انك مازلت عروس ولا يجب أن تتحملي العمل كله لوحدك.
- إذا تعالي فلنحصد السنابل قبل أن يقطفها الحفار ألذي رأيته ذلك اليوم.
- حدثيني عنه ماهية قصته؟
- رأيته بنفس اليوم ألذي رأيتك فيه.

- ماذا! رأيتني؟
- نعم، وكنت أريد أن أسألك متى ستتزوجين؟ أم ستبقي على هذا الوضع؟
- عندما تقسم لنا الدنيا، ولكني خائفة أن يصبح مصيري كمصيرك ويزوجوني شخصاً لا اعرفه.
- لماذا لا يتقدم لخطبتك؟ وتنتهي هذه القصة.
- كيف ذلك و ابن عمنا عماد كقاطع الطريق يفرض عليّ هيمنته عند كل خاطب، وحبيبي لا يريد مشاكل ونحن الاثنان ننتظر لعله يتزوج حتى أتزوج أنا مجبل. انتظري لا تلهيني بقصتي وصفيلي شكل الحفار.
- اقسم لك هو كباقي البشر ولكنه واضح عليه انه ليس من قريتنا، ملثم والسواد يغطي وجه وعيناه تتطاير منها الشرار ولو بيده كان قطعني كما كان يقطع الخشب بداخل الحفرة.
- يا الهي من أين جاءنا هذا؟

داعبت الرياح وجنتيهما المحتارة، تحثان الخطى على المسير نحو مستقبل غريب مجهول، تحلمان وتضحكان وترميان النكات التي لا تنفك أن تمر من أفواه إحداهن حتى تبتسم لهن الأشجار، مُصدرة حثيثها وخشخشتها غير مبالية بتساقط أوراقها فالثمار ما تزال متماسكة.

***

اجتمع الأهالي لمناقشة الأحداث التي استجدت في قريتهم، حيث احتدم النقاش وتزاحمت الأصوات كل منهم يرمي باللوم على الأخر في دخول الأغراب لقريتهم، والسماح لشبابها بالهجرة وتركها بيد من لا يقدر على حمايتها، كان من ضمن الجالسين الجار الجديد جميل الذي اخذ الصمت وسيلته للاستماع لأصواتهم المعاتبة دون فائدة، كان لا بد أن يقحم نفسه في خضم الحديث، حتى لا تشوبه شائبة:

- رغم أني غريب عنكم لكن باستطاعتي الوقوف معكم، ارجوا أن لا أكون مصدر شك لديكم.

استدارت جميع الأنظار أليه، حيث لم يكونوا يعلموا بوجوده بينهم:

- الاجتماع لأهالي القرية فقط، من استضافك هنا؟ قالها سلمان وهو يترأس المجلس.
- أنا من جعلت نفسي ضيفا عليكم، لكوني قد أكلت من زادكم، فعيب علي أن لا أشارككم همومكم.
- شكرا لك، فهذا عشمنا بك. تمتم بها وهو يتوخى الحذر منه.

ساد المجلس صمت يشوبه الشك، هل يكملون حديثهم بوجوده أم يجب إنهاء الجلسة والتنبه منهُ في المرة القادمة؟ كسر الصمت بخطته التي من الممكن أن تكون السبب في الخلاص واستطاع إقناع عدد من شباب القرية للوقوف بوجه السلطة الحاكمة التي أهملتهم وحاربتهم، رسم لهم صورة خيالية عن الحكم تحت راية الإسلام الصحيح، الذي سيكون هو الفيصل بالحكم ويكون

رأس الدولة هو الحاكم باسم الله وهو خليفته على الناس كما كان في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام.

هذا الطرح الجديد جعل البعض يتمسك به، خاصة انه ضمن لهم حسب خياله الجنة والحور العين وكذلك أنهم لن يكون عليهم أي وزر وأنهم سيعودون كما ولدتهم أمهاتهم من دون ذنب، والبعض الآخر رفض الفكرة من أساسها؛ فالإحداث ليست لها علاقة بالدين، كثير من اللصوص موجودين في داخل القرية ومتوغلين، وأيضا يدعون بالدين.

هجماتهم الكثيرة دليل على وجود خائن في القرية، وقدرت بعض الغرباء على التملك لمناصب مهمة، لم يمتلكها شيوخ القرية أنفسهم، جعلتهم يستغربون كيف حصلوا عليها؟ انتهت الجلسة ولم يتمكنوا من إيجاد الحلول المناسبة لهم.

توالت الأيام وازدادت المشاحنات بين الأهالي، حيث أصر جميل على نصب الخيام والاعتصام فيها حتى يستجاب لمطالبهم، الأمور ازدادت سوءاً، لوجود الكثير من المغرر بهم والذين قاموا بقتل كل من يمر من حدود القرية والذي أدى إلى زعزعت الأمن أكثر في قريتهم.

الرسام

- لما لا نأخذ استراحة اخرى، ونكمل غدا.
- لا سنكمل اليوم اجلسي واقرئي لي.

استمع لها بكل جوارحه، والشرنقة بدأت تغزل خيوطها أكثر فأكثر في خياله، نورا مستلقية على الورود تحسب كل ورقة فيها، والرسام يلقي بألوانه على اللوحة وهو يمتع خياله بها، رمى الفرشاة وهو يبكي ويقول:

- من الذي يستطيع أن يقتل البراءة في قلب صغير كهذا.
- بقدر البراءة التي في الشرنقة هناك الشر الذي قد يحرقها.

صمت الاثنان لبرهة وقد ملأ قلبيهما الحزن، رفع الرسام يده و أشار للكاتبة بالاستمرار بالقراءة. وفي هذه الاثناء شعر بتحرك احدى اوراقه التي تركها على الارض، حاول عدم لفت انتباه الكاتبة، قام من مجلسه:

- ما بك؟
- لا شيء فقط تطايرت اوراقي وقمت لأجلبها.

رفع إحدى الاوراق وإذا به يرى مها ومجبل يجالسان بعضهما ويتأرجحان على حبل الستائر، لم يصدق ما راه، تمتم:

- ما اجملكما.

- **ماذا قلت؟**

- **قلت ان شخصيات قصتك جميلة جدا.**

- **شكرا لك، لنرى من سيجعلها اجمل، أنا أم أنت؟**

التفت إليها مبتسما ولم يرد على كلامها بحرف فقط اكتفى بالعودة الى الرسم.

الفصل الخامس

سلمان

طرق سلمان الباب بتثاقل:

- أراك على غير عادتك؟
- طرقتها لأني أضعت المفتاح.

استلقى على سريره والأفكار تتصارع في عقله متناسيا تضميد جرحها:

- ألن تضمد يدي؟

لم تسمع صوته فقط أنفاسه من كانت تكسر الصمت:

- سأضمده، لكن من سيضمد جرح القرية؟
- وددت أن أطلعك على شيء.
- ما هو؟
- قبل أيام عندما كنت اعمل في المزرعة رأيت شخصا يحفر الأرض وقد أخفى فيها شيئا، وعندما شعر بي رمى علي بالفأس، وبالكاد تمكنت من الهرب.
- ولماذا لم تخبريني في حينها؟
- لم ألحق حدث ما حدث، وألان حتى تمكنت من أخبارك.
- أتذكرين شكله؟
- لا أتذكر أني رأيته من قبل.

جملتها الأخيرة أدخلته في حيرة لم يستطع فك رموزها، ها هو ألان أمام مواجهة صعبة.

***

سلمان اخذ يقارن بين ما قالته نورا وبين أفعال جميل، فهذا الجار لم يظهر إلا بعد السرقات التي حصلت وما شاهدته نورا يوضح سبب ملاحقتهم ومحاولة قتلهم، التفت إليها والأفكار تدور في رأسه كما تدور الرحى:

- إن جعلتك تشاهدينه اليوم هل ستتعرفين عليه؟
- بالتأكيد، إن تمكنت من رؤية عينيه عن قرب سأتعرف عليه فهي كانت تشتعل كرها، ولكن إن هو تعرف علي ماذا سيحصل حينها؟.
- لن يتعرف عليكِ، ستضعين الخمار على وجهك.

لاقت فكرته القبول لديها، واستعدا للقائه، حيث لفت جسدها بعباءتها السوداء مُخفية جمال وجهها بخمار اسود يحاكي عباءتها المتمايلة مع هفوات الرياح الرافضة لمن يصدها، يسيران ويدهما تطبقان على بعضهما البعض، اقتربا من البستان حيث فزعت نورا عندما رأته يحفر مرة أخرى، معتصرة يد سلمان، مخففا عنها:

- لا تخافي فقط ركزي في وجهه هل هو من شاهدته؟

تسارعت دقات قلبها محاولة الاختباء خلف سلمان، وبذات الوقت محاولة التركيز في وجه جميل.

– سلمان، أراك هنا! توقعت أنك في الاجتماع.

– لا، اليوم جئنا نتمشى أنا وزوجتي؛ لنتفقد البستان.

كلمات قليلة دارت بينهما، أثارت الشك في قلب كل منهما، تبادلا النظرات قائلان:

- نلتقي الليلة.

توارت خلف الأشجار، دقات قلبها كانت أسرع من دقات الساعة:

- على رسلك، أنت ترتجفين، وخطاك تتعثر، هل هو من رأيتِ؟

تتلعثم شفاهها، وتتقطع أحرفها، قائلة:

- كاد قلبي أن يتوقف، هو هو.
- هو؟ قصدك جميل هو ذاته ألذي رأيته؟
- نعم هو، ذات العينين وذات الصوت وذات الفأس.
- شككت فيه عندما رأيته في بالاجتماع، ظهر فجأة وكلامه كان غير مريح، المهم دعيني أعيدك لأهلك قد تكوني مستهدفة أكثر مني.
- لا لا، أريد البقاء معك لا أريد العودة لأهلي.
- قبل أيام لم تكوني ترغبين فيّ، ما الذي تغير؟

الصمت كان ابلغ من كلامها، رمقته بنظرات الحب التي لم يعهدها منها.

- أنتَ هلي وبيتي.

لم يصدق ما سمعت أذناه، فمن رفضتهُ في ليلة عرسها، ها هي ألان تخبره انه أهلها وبيتها، لم تسعه الدنيا بل أنستهُ كل ما مر به من صعاب.

مرت ليلتهم بسلام حذر حيث كانت القرية تعاني من تصدعات الأحداث المتوالية.

***

بعد صمت رهيب قد غطى المحافظة بأكملها، استيقظ الأهالي فجرا على دوي المدافع التي لم تعطِ فرصة للرد، حيث الانسحاب المفاجئ من قبل الجيش وتوغل دبابات ومدافع داعش الإرهابي بين المدن والقرى، فرضوا هيمنتهم على الناس البسطاء الذين لم يكونوا يملكون غير ابسط أسلحتهم وهو صوتهم الذي لاقى الإخراس بقتلهم وجلدهم وسبي نسائهم، ولكن سلمان لم يترك فرصة لداعش لتمارس جرمها في مزرعته ولا حتى محاولة المساس من أهله، حمل كدس من الأسلحة كان يخبأها في سرداب منزله وتأهب مع مجموعة من شباب القرية لمواجهة الإرهابيين، وفي كل ليلة كانت لهم هجمة وصد ورد معهم حيث لم يتمكنوا وقتها من المساس بأرضه.

عاد سلمان إلى بيته وهو منهك القوى، دخل ورمى بجسده المتعب على الفرش ونادى بصوت خافت:

–نورا نورا.

لم يسمع أي رد منها، قام من فراشه وهو يتكأ على الأرض بركبتيه، وكرر ندائه لنورا لكن دون جواب، غطاء كتفها مرميا على الأرض ونعليها مقلوبين، بحث عنها لكن دون أن يصدر صوت، اقترب أكثر من السرداب فسمع شهيق وحشرجة، نزل السلالم فوجدها متكورة على نفسها وتتشهق بين اللحظة والأخرى:

- نورا ما بالك تختبئين هنا؟
- أصوات الانفجارات تخيفني وأنا وحدي ليس معي من احتمي به.
- وأنا أين ذهبت؟
- أنت تقاتل معهم.
- أنا أقاتل لأجل حمايتك وأهل القرية منهم، لا أريد منك سوى دعواتك لنتمكن من الخلاص منهم، فهم كالمرض الخبيث يتوغلون في الجسد ويدمروا كل جزء فيه.
- وما هذا في يدك؟
- لا شيء مجرد عبوة فيها بنزين إن حاولوا الاقتراب قمت بحرقهم، أرجوك سلمان لا تتركني لوحدي، لا أريد أن يحصل معي كما حصل مع مها.
- لن يحدث هذا إلا إذا مت عندها أريدك أن تكوني قوية كما أنت معي فأنا أثق بك.

حوطت كتفيه ودموعها كادت تغرق قميصه، طبع قبلة صغيرة على رقبتها ممازحا:

- هيا يا صغيرة كفاك بكاء، واترك هذه العبوة وإلا ستحرقيننا، على فكرة للان لم أذق طبخك الموعود سأقتل وأنا لم أتناوله.
- سلام قول من رب الرحيم، لا تقلها مرة أخرى، وإلا سأموت في مكاني.

***

في ذلك الحين دوى بين أوساط داعش اسم سلمان الشاب القوي الذي لن ولم يرضخ لهم، تتبعوا أخباره فكان من المقاتلين الشرسين الذين لا يكسرهم شيء وكثيرا ما كان يصطادهم ببندقيته حين يقتربون من مكانه، قد أثار حفيظتهم حيث دار اسمهُ في اجتماعاتهم كثيرا، فكان لابد لهم من التخلص منه، اعدوا عدتهم وتحضروا في ليلة كانت مشؤومه حين داهموا قريتهم وجروا جميع رجال القرية إلى خارج منازلهم، حتى توصلوا إلى منزل سلمان، وهجموا عليه.

-سلمان سلمان.

صياح نورا ملأ المكان حين سمعت دوي بنادقهم قد اقترب، أخذت تنتقل من حجرة إلى أخرى محاولة جر سلمان معها وهو يحمل بندقيته يصد بها من يحاول الاقتراب منهم، حملت إحدى البنادق لتعاون زوجها في المواجهة لكنهم كانوا أقوى منهما.

داهموا منزلهم بعد إن أردوا سلمان أرضا، نورا لم تتمكن من مواجهتهم حين شاهدت سلمان يقتل، بعد صراع معهم لم يجدِ نفعا فأعدادهم الكبيرة كانت أقوى من السلاح الذي كان يحمله، فقد أسقطها هول المنظر لتقع مغشيا عليها. أخذوها دون أن يرحموا بها، جروها من شعرها ليدخلوها إلى سيارتهم الكبيرة المليئة بالفتيات المخطوفات، كان عليها أن تنصاع لهم وإلا ستكون في الحفرة التي أعدوها لأهالي القرية الذين وقفوا في وجههم، أخذت سيارة القلاب برمي التراب على الحفرة لتدفن الناس وهم أحياء، وضرب كل من يحاول الاقتراب

منهم ورميه معهم، كان مشهدا مروع تهدمت بسببه كل آمال نورا بالتخلص منهم.

استسلمت لقدرها، فداعش كان من الإرهابيين الخطرين الذين لا يرف لهم جفن حين يقتلون البشر حتى لو كان طفل بريء. تعرضت لأشد الاهانات قاموا بنقلها من وكر لأخر، كانت تباع في السوق كأي شيء آخر، لم يتركوا لكرامتها شيء حتى إنها وصلت إلى حد الهذيان بسبب ما تعرضت له، من هؤلاء؟ وكيف تمكنوا من دخول قريتها؟ وما شأنهم ببلدها وأرضها. كانت في دوامة لا سبيل للخروج منها سوى الموت.

بيعت لأحد قادة داعش المتشحين بلباسهم الأسود كأنهم غربان وقد يكون الغراب ارحم منهم في باقي أبناء جنسه من الطيور، ابتدأت رحلت مقاومتها الحقيقية، لم تكن تنصاع لزوجها الحقيقي فكيف ستنصاع لمجرم محتل غاشم قد اغتصب أرضها و ألان يحاول اغتصاب طفولتها؟ كان يوم عرسها مليء بالنساء التي يدعون بالداعشيات يرتدين اللباس الأسود لا يبرز منهن سوى عيوناً تطلق الشرار، يدعينّ الإسلام وهن لا يعرفنه حق المعرفة.

أقبلن عليها يحاولن جعلها تنصاع لمطالبهن لكنها ازدادت جنوناً، لم تعرف ماذا تفعل كانت الأبواب كلها مغلقة أمامها عدا فتاة صغيرة كانت تحمل معها عود ثقاب، في وسط خوفها وحيرتها طرأت في بالها فكرة لعلها تنجح للتخلص من هذا العرس. أشارت للفتاة تطلب منها المزيد من أعواد الثقاب وطلبت من النساء أن يسكبن الكثير من المشروبات كي يحتفلن بالعرس وان يكثرن من الشموع على الأرض لاستقبال العريس حين مجيئه وقد فعلن كما قالت، اقتربت

الطبول واقترب الغربان بلحاياهم البشعة، جلس العريس بقربها حاول أن يمسك يدها، سحبتها وكانت حجتها الخجل، رفع الكأس كي يسقيها أمسكت هي أيضا كأسها وفي غفلة منه سكبت بعض من البنزين فيه، كانت تخبئه في ثيابها وجاء وقته ألان، رمت الكأس في وجه العريس، مما أغضبه فقام بحمل إحدى الشموع وقبل أن يحاول حرقها توهج وجهه بالنار ليُحرق دون هوادة، ثارت النساء عليها رفعت غطاء الأرضية لتسكب كل الكؤوس وترمي عليهن بالبنزين وتحرق كل من في الحجرة، تعالت النيران وثارت الجموع الغفيرة محاولين إطفاء النيران لكن عبثا يحاولون، احتضنت الطفلة ورمت بنفسها من نافذة الحجرة لتسقط على كتفها، قامت من أرضها تسابق الجموع في حمل الماء كي لا يشكو بفعلتها، في كل خطوة تبتعد أكثر إلى أن وصلت إلى حدود مجهولة استمرت في المسير لا تعلم أين سيأخذها الطريق كان جل همها الخلاص من الغربان، التعب يضنيها والخوف يسلبها عقلها، الليل يغطيها و النجوم وضياء القمر يُنيران طريقها، اغشي عليها لتغفوا في وسط التراب والأشواك وفي أحضانها الطفلة تبادلها الخوف من المصير الذي سيلاقيهن.

ومع حلول أول خيط من أشعة الشمس، وجدت نفسها في العراء بعيدة جدا عن وكر الأعداء.

حملت الطفلة على ظهرها، الطريق طويل ومشوارها أصعب قد تمر من جانبها أي سيارة عسكرية تابعة للأعداء حينها ماذا ستفعل؟ الأفكار تتقلب في رأسها، الطائرات تحلق لكن لمن ومن يقودها؟ لن تخاطر لن ترفع القماش الأبيض، ستستمر في المسير حرارة الجو تحرقها والعطش يسلبها طاقتها وجسم الطفلة أصبح ثقيلاً على كاهلها فالجوع وقلة الماء قد أنهكاها، سراب قد خيل لها أن

كأس من الماء أمامها، اقتربت منه مدت يدها كي تأخذه، شعرت بيد بدل الكأس قد أمسكت بها، لم تكن ترى من الذي أمامها كل ظنها انه داعشي، هوت على الأرض فاقدةً الوعي.

الرسام

النار والغطاء والصحراء وكأس ماء:

- أنت مجنونه حين طلبتي أن ارسم لكِ لوحة.
- قلت لك لا تتعجل فلنكمل القراءة ثم لترسم، وإلا سأنتصر عليك.

رمقها بنظرة تحدٍ، قائلاً:

- سأرسم كأس الماء منشطراً وسأضيف النار، كانت فكرة ذكية حين أحرقتهم، لو كنت مكانها لما فعلت شيء الموت محتم أمامي.
- لا اعتقد انك ستستسلم لهم، الرغبة بالخلاص سيكون هدفك حينها، والدفاع عن أرضك هو همك.
- أترين ذلك؟
- أتريد أن أجعلك تعيش التجربة.
- وكيف ذلك؟
- سأحتجزك هنا وسأجبرك أن تنهي القراءة بعد يومين وإلا سأسكب المشروب عليك وأحرقك.
- لا لا لا تفعلي أعدك أن ارسم واجسد شخصياتها بطريقة افضل من سردك للقصة انا متأكد انك لن تندمي وقتها لترشيحي للرسم.

الغطاء سأجعله يتموج من تحت بعض النقاط التي سأضعها بكثافة في مربع واحد، رسم قد يكون غريب وغير مفهوم ولكنه سيجذب المحب للرسم وسيجعله يعيش في عالم آخر، أما الصحراء فلونها الهادئ الغالب والعاصف سأجعله يبتلع النقاط لتبرز الفتاة وهي تحمل كأس الماء للوصول إلى بر الأمان. هنا ستبدأ المعركة الحقيقية لشخصية الفتاة فهي ألان حرة ومسئولة عن ذاتها وعن طفلة صغيرة. سأترك الرسم ألان لنكمل القراءة تماما.

الفصل السادس

الجندي

حملهن الجندي معا مناديا على رفاقه:

- فليساعدني أحدكم إنهن فتيات صغيرات، أضناهن التعب.

تعاونوا على رفعهن ونقلهن إلى المعسكر، حتى يتلقين العلاج والمساعدة، وبعد دقائق صحت من غيبوبتها دارت بعينيها حول المكان، لم تصدر أي صوت، خوفا من القادم، بحثت عن الطفلة وجدتها مستلقية على سرير قريب منها، حاولت إيقاظها فركت الطفلة عينها محتضنة نورا:

- الحمد لله انك صحوتِ حاولوا كثيرا أن يعيدوك لوعيك، لكنك كنت كدمية متجمدة.
- من هم الذين حاولوا مساعدتنا؟
- إنهم الجنود.
- ماذا كانوا يرتدون؟
- لا تخافي ليسوا دواعش إنهم جيشنا الذي أنقذنا.

دخل حينها احد الجنود، رمت بجسدها على السرير، الذي اصدر صرير شديد تنبه من خلاله الجندي لحركتها، لم يعرها انتباه فقد ذهب يتفقد الطفلة التي استقبلته بابتسامة رقيقة ليطبع قبلة على جبينها الصغير:

- ألم تستيقظ؟

- نعم استيقظت لكنها مازالت خائفة.
- سنتركها نحن الاثنان، تعالي معي لنسكب الطعام، علها تلحق بنا.

رفعت رأسها ببطيء بعد أن غادرا الخيمة، حاولت الإصغاء للأصوات للتأكد من أنها في وسط الجيش وليس داعش، دارت الأفكار في عقلها، قامت نافضة الغطاء من عليها ليدخل الجندي ويفاجأ بمنظرها الذي اقشعر منها حين رآها:

- ماذا تفعلين بحالك؟

رفعت السكين في وجهه:

- وما شأنك؟
- اهدئي انك في آمان هنا، لن يتمكن الدواعش من الوصول إليك.

قفزت بكل قوتها نحوه محاولة غرس السكين في كتفه، عندها دخلت الطفلة لتصرخ في وجهها:

- لا تفعلي انه جندي عراقي، أرجوك اهدئي.

وقفت الطفلة في وجه نورا محاولة تهدئتها، لكن نورا صرخت تقول:

- أعيدوني لقريتي، أريد رؤية سلمان، أريد رؤية أمي، أعيدوني أعيدوني.

خرج الجندي من الخيمة والحزن يملأ قلبه على ما رآه من حال نورا الذي وقف حائرا كيف سيعيد لها رشدها. توجه نحو خيمة القائد العسكري الذي ناشده أن يسمح له بنقلها إلى المدينة عله يستطيع أن يخلصها من هلوساتها، لكن رفض القائد جاء بسبب الظروف الصعبة لنقل الجرحى ويوجد من حالتهم أكثر

حرجا منها، عاد والخيبة ترافقه ليلاقي الصغيرة وهي تخبره بأن نورا قد فرت من الخيمة. لتعود أدراجها وتقاتل من قتل زوجها.

جن جنونه:

- **لا اعتقد إنها ابتعدت كثيرا فالطريق ليس بالسهل، تعالي معي علنا نراها ونعيدها.**

حمل رشاشته والصغيرة معه يرافقونهم بعض من الجنود في سيارة الجيش، التراب يتطاير من أمامهم وحرارة الشمس لا تغفر لأحد، تلقى حينها نداء من القائد العسكري الذي اخبرهم إن القطعات بدأت تتجهز لمواجهة معركة ضارية فكان لابد من الرجوع إلى أدراجهم. عادَ وهو يراقب الطريق الوعر لعله يراها تدب هنا أو هناك لكن حرارة الشمس قد أذابت كل اثر لها حتى غدت كسراب يراه في كل مكان.

الرسام

ارخى جسده على الكرسي وامعن النظر في لوحته، حمل الفرشاة وأعادها إلى حقيبته، وغطى اللوحة بشرشف أبيض، قائلا:

- اتركيها تنشف، أكملتها لكن لا أريدك أن تريها ألان.
- لماذا لا اراها الأن؟

حمل أدوات الرسم مغادرا دون أن يلتفت إلى لوحته، استغربت فعلته وكلامه:

- إنتظر هل حقا تحتاج وقت لأجل أن تنشف.

رفعت الغطاء، واذا بها تتربع على الأرض ملؤها الدهشة، ففيها كل ما يعبر عن المآسي التي مرت بها الفتاة وهي تحتضن الكأس المنشطر ودموعها تتساقط فيه، متسائلة الى متى؟

انتهت بعون الله

ملاحظة:

الأحداث والشخصيات التي قرأتها عزيزي القارئ

لا تمت للحقيقة بصلة هي فقط من خيال القاصة.